سورة المائدة

[قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ }[1]]... لفظ الآية لا يخالف ما تواتر من السنة، فإن المسح كما يُطلق ويراد به الإصابة، كذلك يطلق ويراد به الإسالة، كما تقول العرب: تمسحت للصلاة[2]. وفي الآية ما يدل على أنه لم يرد بمسح الرجلين المسح الذي هو قسيم الغسل، بل المسح الذي الغسل قسم منه، فإنه قال: {إِلَى الْكَعْبَيْنِ }، و لم يقل: إلى الكعاب، كما قال: {إِلَى الْمَرَافِقِ} فدلّ على أنه ليس في كل رجل كعب واحد، كما في كل يد مرفق واحد، بل في كل رجل كعبان، فيكون تعالى قد أمر بالمسح إلى العظمين الناتئين، وهذا هو الغسل، فإن من يمسح المسح الخاص يجعل المسح لظهور القدمين، وجعل الكعبين – في الآية – غاية يرد قولهم[3]. فدعواهم[4] أن الفرض مسح

---

١ سورة المائدة، الآية: 6.

٢ انظر المفردات ص، (467)، والوسيط (159/2)، ومعاني القرآن الكريم (272/2، 273)، والمحرر الوجيز (48/5).

٣ قوله: وجعل الكعبين... الخ احتج به كثير ممن تقدم، منهم: الزجاج في معاني القرآن (154/2)، والأزهري في تهذيب اللغة (352/4) "مسح"، والنحاس في معاني القرآن (273/2).

٤ يعني بقوله: "فدعواهم" الشيعة فإنهم هم الذين يرون أن الفرض هو المسح، لا الغسل. انظر تفسير القرآن العظيم (23/2).

الرجلين إلى الكعبين اللذين هما مجتمع الساق والقدم عند معقد الشراك مردود بالكتاب والسنة.

وفي الآية قراءتان مشهورتان النصب والخفض [1]، وتوجيه إعرابهما مبسوط في موضعه[2]، وقراءة النصب نص في وجوب الغسل؛ لأن العطف على المحل إنما يكون إذا كان المعنى واحداً، كقوله[3]:

... ... فلسنا بالجبال ولا الحديدا

وليس معنى مسحت برأسي ورجلي، هو معنى مسحت رأسي ورجلي، بل ذكر الباء يفيد معنى زائداً على مجرد المسح، وهو إلصاق شيء من الماء بالرأس [4]، فتعين العطف على قوله: {وَأَيْدِيَكُمْ}[1]... وفي ذكر

---

١ يعني في لفظ "أرجلكم" وقراءة النصب، قرأ بها نافع وابن عامر والكسائي ويعقوب وحفص، والباقون بالخفض. انظر المبسوط في القراءات العشر، ص (184)، والنشر في القراءات العشر (254/2).

٢ انظر الحجة للقراء السبعة (214/3، 215)، والكشف عن وجوه القراءات السبع (406/1).

٣ هذا الشعر لعُقَيْبة بن هُبيرة الأسدي، شاعر جاهلي إسلامي (ت نحو: 50هـ) قاله لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في أبيات وصدر البيت: (معاوي إننا بشر فأسجح). ووجه الاستشهاد بالبيت أن "الحديدا" منصوب عطفاً على محل الجبال المجرورة لفظاً. وقد تبع المؤلف سيبويه وغيره في الاحتجاج بالبيت. انظر الكتاب (67/1)، والإنصاف في مسائل الخلاف (332/1)، ولسان العرب (120/10) "غمز" على أن قافية هذا الشعر قد جاءت مجرورة في خلاف يطول ذكره. انظر خزانة الأدب (260/2). وإن أردت الوقوف على غير المراجع المذكورة التي أوردت هذا الشعر فانظر المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية (209/1، 210).

٤ تابع المؤلف شيخ الإسلام في عدم صحة عطف قراءة {وَأَرْجُلَكُمْ} بالنصب على محل =

المسح في الرجلين تنبيه على قلة الصب في الرجلين، فإن السرف يعتاد فيهما كثيراً[٢].

[وقال أيضاً]: قوله تعالى: { فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ }[٣]... (من) هنا للتبعيض، لا للغاية [٤]. أي: ألصقوا بوجوهكم وأيديكم بعضه. قال الزمخشري في الكشاف [٥]: فإن قلت: قولهم إنها لابتداء الغاية قول متعسف، ولا يفهم أحد من العرب قول القائل: مسحت برأسه من الدهن ومن الماء ومن التراب إلا معنى التبعيض. قلت: هو كما تقول [٦]،

= {بِرُؤُوسِكُمْ} لوجود الاختلاف بينهما وبين ما جاء في البيت المذكور. انظر فتاوى شيخ الإسلام (349/21). وكون الباء للإلصاق هو رأي الزمخشري في الكشاف (597/1)، وشيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (349/21). وقد قيل في الباء غير ما ذكر. انظر الدر المصون (209/4).

١ يعني عطف قراءة {وَأَرْجُلَكُمْ} بالنصب. وانظر الكشف عن وجوه القراءات السبع (407/1)، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام (349/21)، والدر المصون (210/4) والأخير قد ذكر الخلاف بين العلماء في عطف الأيدي.

٢ شرح العقيدة الطحاوية، ص (553 - 555) وما ذكره بقوله: وفي ذكر المسح في الرجلين... الخ. قاله الزمخشري في الكشاف (597/1).

٣ سورة المائدة، الآية: 6.

٤ انظر الدر المصون (216/4) فقد ذكر السمين القولين، ووصف ما ذهب إليه المؤلف بأنه الأظهر.

٥ انظر منه (529/1) فقد قاله الزمخشري عند الآية (43) من سورة النساء.

٦ في التنبيه على مشكلات الهداية "يقول" بالياء، والتصحيح من الكشاف.

والإذعان للحق خير من المراء. انتهى[1].

... قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ }[2]...ذكر في سبب نزول الآية الكريمة عن ابن جريج، عن عكرمة أن عثمان بن مظعون، وعلي بن أبي طالب، وابن مسعود، والمقداد بن الأسود، وسالماً مولى أبي حذيفة رضي الله عنهم في صحابة تبتلوا، فجلسوا في البيوت، واعتزلوا النساء، ولبسوا المسوح[3]، وحرموا طيبات الطعام واللباس، إلا ما يأكل ويلبس أهل السياحة من بني إسرائيل، وهموا بالاختصاء، وأجمعوا لقيام الليل وصيام النهار، فنزلت: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ } يقول: لا تسيروا بغير سنة المسلمين، يريد ما حرموا من النساء والطعام واللباس، وما أجمعوا له من قيام الليل وصيام النهار، وما هموا به من الاختصاء، فنزلت فيهم، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم إليهم، فقال: "إن لأنفسكم عليكم حقاً، وإن لأعينكم حقاً، صوموا وأفطروا، وصلوا وناموا، فليس منا من ترك سنتنا". فقالوا: اللهم سلمنا واتبعنا ما أنزلت[4].

---

١ التنبيه على مشكلات الهداية، ص (91) تحقيق عبد الحكيم.

٢ سورة المائدة، الآية: 87.

٣ المسوح جمع "مِسْح" بكسر الميم وإسكان السين كساء من شعر. انظر مختار الصحاح، ص (455)، والمعجم الوسيط (903/2) "مسح".

٤ شرح العقيدة الطحاوية، ص (788-790). والأثر بهذا اللفظ أخرجه ابن جرير في تفسيره تفسيره برقم (12348) عن ابن جريج عن عكرمة. قال ابن كثير بعد أن أورد هذا =

قال تعالى: { إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ }[1] { فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً }[2] { وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ }[3] لا خلاف أن كل واحد من الاسمين في هذه الآيات لما أُفرد شمل المقل والمعدم، ولما قرن أحدهما بالآخر في قوله تعالى: { إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ }[4] الآية، كان المراد بأحدهما المقل، والآخر المعدم[5]، على خلاف فيه[6].

وكذلك الإثم والعدوان، والبر والتقوى، والفسوق والعصيان.

ويقرب من هذا المعنى الكفر والنفاق، فإن الكفر أعم، فإذا ذكر الكفر شمل النفاق، وإن ذكرا معاً كان لكل منهما معنى، وكذلك الإيمان

= الأثر في تفسيره (89/2) : "وقد ذكر هذه القصة غير واحد من التابعين مرسلة، ولها شاهد في الصحيحين من رواية عائشة أم المؤمنين ". قلت: وللوقوف على هذه الروايات المرسلة انظر جامع البيان (514/10-518)، وتفسير ابن أبي حاتم (1187/4). والمؤلف إما أنه نقل سبب النزول من جامع البيان، أو من تفسير شيخه ابن كثير.

١ سورة المائدة، الآية: 89.

٢ سورة المجادلة، الآية: 4.

٣ سورة البقرة، الآية 271.

٤ سورة التوبة، الآية 60.

٥ قال أبو جعفر النحاس: وقال أهل اللغة لا نعلم بينهم اختلافاً الفقير الذي له بلغة، والمسكين الذي لا شيء له. انظر معاني القرآن (222/3) فقد ذكر هذا المذهب عند اقتران أحد اللفظين بالآخر.

٦ انظر الجامع لأحكام القرآن (168/8) فقد قال القرطبي: اختلف علماء اللغة وأهل الفقه في الفرق بين الفقير والمسكين على تسعة أقوال. وانظر أيضاً معاني القرآن لأبي جعفر النحاس (220/3-223) فقد ذكر أبو جعفر طائفة من أقوال العلماء في ذلك.

والإسلام، على ما يأتي الكلام فيه، إن شاء الله تعالى[1].

... قوله تعالى: {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ }[2]... هذه الآية نزلت بسبب أن الله سبحانه لما حرَّم الخمر، وكان تحريمها بعد وقعة أُحد، قال بعض الصحابة: فكيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية[3]، بيَّن فيها أن من طعم الشيء في الحال التي لم يُحَرَّمْ فيها فلا جناح عليه إذا كان من المؤمنين المتقين المصلحين، كما كان من أمر استقبال بيت المقدس[4].

...عن عمر رضي الله عنه في قوله تعالى: { أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ

---

١ شرح العقيدة الطحاوية، ص (452-453) وانظر أيضاً، ص (493) وقد تكلم المؤلف أيضاً على لفظ الفقير والمسكين في كتابه التنبيه على مشكلات الهداية، ص (388) تحقيق عبد الحكيم، وسيأتي كلامه على الإيمان والإسلام في سورة الحجرات. وقضية أن المعنى يختلف بالاقتران والانفراد بحثها شيخ الإسلام في مواضع من مجموع الفتاوى، منها (7/162-169) ولعل المؤلف اطلع على شيء من هذا.

٢ سورة المائدة، الآية: 93.

٣ أخرجه الترمذي في جامعه، برقم (3050، 3051)، وأبو داوود الطيالسي في مسنده برقم(715)، وأبو يعلى في مسنده برقم (1719)، والطبري في جامع البيان برقم (12528)، وابن أبي حاتم في تفسيره برقم (6775)، وابن حبان في صحيحه مع الإحسان برقم (5350، 5351)، والواحدي في أسباب النزول، ص (209، 210) كلهم من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه. والحديث قال عنه الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وانظر الصحيح المسند من أسباب النزول، ص (61، 62).

٤ شرح العقيدة الطحاوية، ص (446 - 448).

}[1] قال: صيده ما اصطيد، وطعامه ما رُمي به.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما طعامه ميتته، إلا ما قذرت منها[2].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري وعدي بن بدّاء فمات السهمي بأرض ليس بها مسلم، فلما قدموا بتركته فقدوا جاماً من فضة مخوصاً بذهب فأحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وجدوا الجام بمكة فقالوا ابتعناه من تميم وعدي بن بدّاء فقام رجلان من أوليائه فحلفا لشهادتنا أحق من شهادتهما، وأن الجام لصاحبهم، قال: وفيهم نزلت هذه الآية: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ }[3] رواه البخاري وأبو داود[4].

---

١ سورة المائدة، الآية: 96.

٢ التنبيه على مشكلات الهداية، ص (574) تحقيق أنور. وأثر عمر أخرجه ابن جرير في جامع البيان برقم (12687) بإسناد ضعيف. وأثر ابن عباس أخرجه ابن جرير أيضاً (12696) ورقم (12697) إلا قوله: "إلا ما قذرت منها" فلم أقف عليه. والسندان إلى ابن عباس رجالهما ثقات. وتفسير "طعامه" بأنه ما لفظه ميتاً. أخرجه ابن جرير في جامع البيان برقم (12729) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسناد صحيح كما قال محمود شاكر.

٣ سورة المائدة، الآية: 106.

٤ التنبيه على مشكلات الهداية، ص (406) تحقيق أنور. والحديث أخرجه البخاري في صحيحه مع الفتح برقم (2780)، وأبو داود في السنن برقم (3606).

سورة الأنعام

قال تعالى: { وَقَالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ الأَمْرُ }[1] قال غير واحد من السلف: لا يطيقون أن يروا الملك في صورته، فلو أنزلنا إليه ملكاً، لجعلناه في صورة بشر، وحينئذ يشتبه عليهم، هل هو بشر أو ملك[2]؟. ومن تمام نعمة الله علينا أن بعث فينا رسولاً منَّا[3].

... قال تعالى: { وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ }[4] أي وأنذر من بلغه[5].

---

١ سورة الأنعام، الآية: 8.

٢ أخرج نحوه الطبري في جامع البيان (268/11، 269) عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد. وأخرج نحوه ابن أبي حاتم في تفسيره (1266/4) عن ابن عباس. وانظر تفسير القرآن العظيم (8125/2)، والدر المنثور (5/3).

والطبري وابن أبي حاتم ذكرا نحو هذا التفسير عند قوله تعالى: { وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً } وأما الآية التي ذكرها المؤلف فالمقصود منها لقضي الأمر بنزول العذاب إن لم يؤمنوا عند مجيء الآية، أو لقضي الأمر بقيام الساعة، أو لقضي الأمر بأن يموتوا؛ لأنهم لا يطيقون رؤية الملك في صورته الحقيقية. ثلاثة أقوال. ذكرها الطبري وغيره. انظر جامع البيان (267/11، 268)، والمحرر الوجيز (9/6، 10) والقول الثاني ضعيف، قال ذلك ابن عطية.

٣ شرح العقيدة الطحاوية، ص (220).

٤ سورة الأنعام، الآية: 19.

٥ شرح العقيدة الطحاوية، ص (169). وبهذا فسَّر الإمام الطبري الآية، وأسند نحوه عن بعض الصحابة والتابعين، وكذا أسنده ابن أبي حاتم، وعبد الرزاق الصنعاني. انظر جامع البيان (290/11-292)، وتفسير ابن أبي حاتم (1271/4، 1272)، وتفسير القرآن لعبد الرزاق (205/2).

... في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه قال لما نزل قوله تعالى: { قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ...}[1] : "أعوذ بوجهك" { أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ } قال: "هاتان أهون"[2].

... ذكر... الخلال في كتاب السنة بسنده إلى محمد بن سيرين، أنه قال: إن أسرع الناس ردة أهل الأهواء، وكان يرى هذه الآية نزلت فيهم { وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ }[3].

... قوله تعالى في سورة الأنعام : { فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ }[4] وقوله تعالى: { وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ

---

١ سورة الأنعام، الآية: 65.

٢ شرح الطحاوية ص (776) والحديث أخرجه البخاري برقم (4628)، ورقم (7313) ورقم (7406) من حديث جابر رضي الله عنه ، واللفظ الذي اختاره المؤلف هو برقم (7313) و لم أجده في صحيح مسلم المطبوع. وقد أخرجه غير الإمام البخاري.

٣ سورة الأنعام، الآية: 68. وانظر شرح العقيدة الطحاوية، ص (433). والأثر لم أقف عليه في كتاب السنة المطبوع بعد البحث. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (7428/4) عن ابن سيرين بإسناد رجاله ثقات. وأورده السيوطي في الدر المنثور (20/3) ونسب إخراجه إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم وأبي الشيخ. و لم يذكر أن الخلاّل أخرجه.

٤ سورة الأنعام، الآية: 118.

}[1] الآيتان، وقوله تعالى في سورة الأنعام: { وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ }[2]الآية فقد أمر الله سبحانه بالأكل مما ذكر اسم الله عليه، وعلق ذلك بالإيمان، وأنكر على من لم يأكل مما ذكر اسم الله عليه، ونهى عن الأكل مما لم يذكر اسم الله عليه وقال: {إِنَّهُ لَفِسْقٌ } وأن الأكل[3] ملم لم يذكر اسم الله عليه لفسق[4].

قال تعالى: { أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا }[5] أي: كان ميتاً بالكفر فأحييناه بالإيمان[6].

.... قال تعالى: { وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الأِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الأِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا

---

١ سورة الأنعام، الآية: 119.

٢ سورة الأنعام، الآية: 121.

٣ يريد المؤلف أن يُفسِّر الضمير الذي في قوله: {وإنه} والذي ذكره نحوه في زاد المسير (115/3).

٤ التنبيه على مشكلات الهداية، ص (545) تحقيق أنور.

٥ سورة الأنعام، الآية: 122.

٦ شرح العقيدة الطحاوية، ص (360). وبهذا فسَّر الإمام الطبري الآية في جامع البيان (18/12)، وأسنده ابن أبي حاتم في تفسيره (1381/4) عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة. ثم قال: "ورُوي عن مجاهد، والسدي، وأبي سنان نحو ذلك" وبهذا فسر الآية المفسرون. انظر مثلاً: المحرر الوجيز (141/6)، ومدارك التنزيل (31/2)، والتسهيل (36/2)، ولباب التأويل (178/2)، وتفسير الجلالين بحاشية الفتوحات (85/2)، والفتوحات الإلهية (85/2).

بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ }[1] فاستمتاع الإنسي بالجني في قضاء حوائجه، وامتثال أوامره، وإخباره بشيء من المغيبات، ونحو ذلك، واستمتاع الجن بالإنس تعظيمه إياه، واستعانته به، واستغاثته، وخضوعه له[2].

... قال تعالى: { يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ }[3]... الرسل من الإنس فقط، وليس من الجنِّ رسول، كذا قال مجاهد وغيره وغيره من السلف والخلف. وقال ابن عباس رضي الله عنهما : "الرسل من بني آدم ومن الجن نذر"[5] و ظاهر قوله تعالى حكاية عن الجن : { إِنَّا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى }[6] الآية، يدل على أن موسى مرسل

---

١ سورة الأنعام، الآية: 128.

٢ شرح العقيدة الطحاوية، ص (766). ونحو هذا التفسير أسنده ابن جرير في جامع البيان (116/12) عن ابن جريج. وبه فسر ابن جرير. وانظر معاني القرآن الكريم (489/2، 490)، وتفسير القرآن للسمعاني (144/2) ففيهما هذا القول وغيره.

٣ سورة الأنعام، الآية: 130.

٤ أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (1389/4) عن مجاهد بإسناد رجاله ثقات.

٥ أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (122/12) من طريق ابن جريج، قال: قال ابن عباس: هم الجن الذين لقُوا قومهم، وهم رسل إلى قومهم. ومعلوم أن ابن جريج لم يدرك ابن عباس. وقد نقل ابن حجر عن يحيى بن سعيد أنه قال: إذا قال ابن جريج قال، فهو شبه الريح. انظر تهذيب التهذيب (404/6). ولهذا أورد ابن الجوزي قول ابن عباس هذا بصيغة التمريض فقال: "ورُوي عن ابن عباس" انظر زاد المسير (125/3).

٦ سورة الأحقاف، الآية: 30.

مرسل إليهم أيضاً. والله أعلم.

وحكى ابن جرير عن الضحاك بن مزاحم أنه زعم أن في الجن رسلاً، واحتج بهذه الآية الكريمة[1]، وفي الاستدلال بها على ذلك نظر؛ لأنها محتملة وليست بصريحة وهي والله أعلم كقوله: { يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ }[2] والمراد من أحدهما[3].

... قوله: { فَإِنَّهُ رِجْسٌ }[4]... يعود الضمير إلى المذكور كله، وهو وهو الميتة والدم ولحم الخنزير؛ فإن الأصل: قل لا أجد فيما أوحي إليّ شيئاً محرماً، فحذف الموصوف، وأقيمت الصفة مقامه، ثم قال: إلا كذا

---

١ أخرجه ابن جرير في جامع البيان (121/12) من طريق شيخه ابن حميد، قال حدثنا يحيى ابن واضح، قال حدثنا عبيد بن سليمان، قال: سئل الضحاك عن الجن هل كان فيهم نبي. ثم ساق ما يفيد معنى ما ذكره المؤلف. وابن حميد قد تكلم فيه العلماء؛ ولذلك قال الذهبي في الكاشف (32/3) : وثقه جماعة والأولى تركه.

٢ سورة الرحمن، الآية: 22.

٣ شرح العقيدة الطحاوية، ص (168). وما ذكره المؤلف هنا مختصر من كلام شيخه ابن كثير في التفسير (178/2) فقد أطال في الرد على الضحاك وذكر أدلة من خالفه. والقول ما ذهب إليه ابن كثير والمؤلف فإنه قول الأكثر فيما اطلعت عليه، وقد وصفه القرطبي في الجامع (86/7) بأنه الصحيح، ويمكن تخريج الآية على ما ذكر ابن كثير. وهو قول الأئمة من قبله: ابن جريج، والفراء، وابن قتيبة، والزجاج. انظر معاني القرآن (354/1)، وتأويل مشكل القرآن، ص (287)، وجامع البيان (122/12) فيه كلام ابن جريج ، ومعاني القرآن وإعرابه (292/2) وأحسن من هذا التخريج ما جاء عن ابن عباس فإنه جمع بين القولين، وهو من ناحية الإسناد كما رأيت، إلا أن مثله قد جاء عن مجاهد بإسناد رجاله ثقات، كما تقدم من رواية ابن أبي حاتم.

٤ سورة الأنعام، الآية: 145.

وكذا، فإن هذا المذكور كله رجس، وإعادة الضمير إلى بعض المذكور فيه نظر[1].

... قال تعالى: { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ }[2] وقال تعالى: { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي }[3] فوحَّد لفظ "صراطه" و"سبيله" وجمع "السبل" المخالفة له[4]. وقال ابن مسعود رضي الله عنه خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً وقال: "هذا سبيل الله " ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن يساره، وقال: "هذه سبل، على كل سبيل شيطان

---

١ التنبيه على مشكلات الهداية، ص (64) تحقيق عبد الحكيم. وفي تفسير الضمير في "فإنه" ثلاثة أقوال. 1- يرجع إلى اللحم 2- يرجع إلى الخنزير 3- يرجع إلى الكل.
انظر بحر العلوم (521/1)، والبحر المحيط (242/4، 243) وفتح القدير (178/2)، وروح المعاني (44/8) وقد وصف الألوسي ما ذهب إليه المؤلف بأنه خلاف الظاهر.
وقال ابن القيم: "فالضمير في قوله: (فإنه) وإن كان عوده إلى الثلاثة المذكورة باعتبار لفظ المحرم، فإنه يترجح اختصاص لحم الخنزير به؛ لثلاثة أوجه. أحدها: قربه. والثاني: تذكيره دون قوله: فإنها رجس. والثالث: أنه أتى بالفاء وإن، تنبيهاً على علة التحريم لتتزجر النفوس عنه، ويقابل هذه العلة ما في طباع بعض الناس من استلذاذه واستطابته فنفى عنه ذلك وأخبر أنه رجس، وهذا لا يحتاج إليه في الميتة والدم؛ لأن كونهما رجساً أمر مستقر معلوم عندهم". بدائع التفسير (185/2).

٢ سورة الأنعام، الآية: 153.

٣ سورة يوسف، الآية: 108.

٤ المؤلف يعني نحو ما قاله شيخه ابن كثير في تفسيره (192/2) فقد قال: "إنما وحد سبيله؛ لأن الحق واحد، ولهذا جمع السبل لتفرقها وتشعبها".

يدعو إليه، ثم قرأ، { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }"[1]

... قال تعالى: { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ }[2]... روى البخاري عند تفسير الآية، عن أبي هريرة، قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا رآها الناس آمن من عليها، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل "[3]. وروى مسلم، عن عبد الله بن عمرو قال: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً لم أنسه بعد، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن أوَّل الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحىً، وأيهما ما كانت

---

١ شرح العقيدة الطحاوية، ص (799، 800).والحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند (435/1)، والدارمي في سننه (78/1) برقم (202)، والنسائي في تفسيره (483/1)، والطبري في جامع البيان برقم (14168)، وابن أبي حاتم في تفسيره برقم (8102)، والحاكم في المستدرك (348/2، 349) وقال: صحيح الإسناد و لم يخرجاه. وأخرجه ابن ماجة في المقدمة برقم (11) من حديث جابر. وحكم محقق جامع البيان بأن رواية الطبري صحيحة الإسناد، وقال شعيب الأرنؤوط: سنده حسن. انظر شرح العقيدة الطحاوية، ص (800).

٢ سورة الأنعام، الآية: 158.

٣ صحيح البخاري مع الفتح الحديث رقم (4636)، وصحيح مسلم الحديث رقم (157).

قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريباً" [1]. أي أول الآيات التي ليست مألوفة، وإن كان الدجال ونزول عيسى عليه السلام من السماء قبل ذلك، وكذلك خروج يأجوج ومأجوج، كل ذلك أمور مألوفة؛ لأنهم بشر، مشاهدة مثلهم مألوفة، أما خروج الدابة على شكل غريب غير مألوف، ثم مخاطبتها الناس ووسمها إيَّاهم بالإيمان أو الكفر، فأمر خارج عن مجاري العادات، وذلك أول الآيات الأرضية، كما أن طلوع الشمس من مغربها، على خلاف عادتها المألوفة أول الآيات السماوية[2].

سورة الأعراف

... روى عكرمة عن ابن عباس في قوله: { ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم} [3] قال: و لم يستطع أن يقول: من فوقهم؛ لأنه قد علم أن الله سبحانه من فوقهم[4].

---

١ صحيح مسلم الحديث رقم (2941). وانظر الدر المنثور (57/3).

٢ شرح العقيدة الطحاوية، ص (757، 758).

٣ سورة الأعراف، الآية: 17.

٤ شرح العقيدة الطحاوية، ص (379). والأثر أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (396/3) من طريق إبراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه عن عكرمة. وإبراهيم هذا ضعيف. انظر التقريب برقم (166). وأبوه قال عنه الحافظ ابن حجر صدوق عابد وله أوهام. التقريب برقم (1438). وأخرجه الطبري في تفسيره برقم (14382) عن عكرمة عن ابن عباس بلفظ "و لم يقل من فوقهم؛ لأن الرحمة تنزل من فوقهم " وفي سند الطبري حفص بن عمر العدني ضعيف. انظر التقريب برقم (1420). والأثر أورده ابن قدامة في إثبات صفة العلو ص(106) بسند اللالكائي ولفظه، وأورده السيوطي في الدر المنثور =

... قوله تعالى: {ثم استوى على العرش} [1] كيف استوى؟ فقال [2]: الاستواء معلوم والكيف مجهول[3] ويُروى هذا الجواب عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفاً[4] ومرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم[5].

قال تعالى: { وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين} [6] يخبر سبحانه أنه استخرج ذريّة بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم، وأنه لا إله إلا هو.

وقد وردت أحاديث في أخذ الذرية من صلب آدم عليه السلام، وتمييزهم إلى أصحاب اليمين، وإلى أصحاب الشمال، وفي بعضها الإشهاد

= (73/3) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير واللالكائي.

١ سورة الأعراف، الآية: 54.

٢ يعني الإمام مالكاً رحمه الله تعالى.

٣ أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (398/3)، والبيهقي في الأسماء والصفات (150/2) من طريق عبد الله بن وهب. وأورده السيوطي في الدر المنثور (91/3)، وعزى إخراجه إلى اللالكائي والبيهقي. قال الحافظ ابن حجر في الفتح (407/13): بسند جيد. يعني سند البيهقي.

٤ أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (397/3)، وأورده السيوطي في الدر (91/3) ونسب أخراجه إلى ابن مردويه واللالكائي. وقال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوي (365/5) : وقد رُوي هذا الجواب عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفاً ومرفوعاً، ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه.

٥ شرح العقيدة الطحاوية، ص (372، 373) وأشار إلى قول مالك أيضاً في ص (96).

٦ سورة الأعراف، الآية: 172.

عليهم بأن الله ربهم[1].

فمنها: ما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان[2] يعني عرفة أخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فنثرها بين يديه، ثم كلمهم قُبُلاً[3] قال: { ألست بربكم قالوا: بلى، شهدنا}.. إلى قوله: { المبطلون}. ورواه النسائي أيضاً، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم في المستدرك، وقال: صحيح الإسناد و لم يخرجاه[4].

وروى الإمام أحمد أيضاً عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنه

---

١ قول المؤلف: "وقد وردت أحاديث... الخ " هو كلام شيخه ابن كثير في تفسيره (262/2).

٢ نَعْمَان: بالفتح ثم سكون وآخره نون، هو واد بين مكة والطائف، بين أدناه ومكة نصف ليلة في قول الأصمعي. انظر معجم البلدان (339/5).

٣ أي: عياناً ومقابلةً، لا من وراء حجاب، ومن غير أن يولي أمرهم أو كلامهم أحداً من ملائكته. انظر النهاية في غريب الحديث (8/4) "قبل".

٤ أخرجه الإمام أحمد في المسند (272/1)، والنسائي في التفسير (506/1) وابن جرير في تفسيره برقم (15338)، والحاكم في المستدرك (593/2) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه. وقال الذهبي: صحيح. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (25/7): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

وقد رجح الإمام ابن كثير في تفسيره (262/2) وقف هذا الحديث على ابن عباس. وناقش حكمه هذا الشيخان الفاضلان أحمد شاكر والألباني بما يفيد أن الحديث قد ثبت مرفوعاً، وأن الروايات الموقوفة لا تقدح في رفعه. انظر جامع البيان (223/13) حاشيته. وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (158/4-162).

سُئل عن هذه الآية، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عنها، فقال: "إن الله خلق آدم عليه السلام، ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية، قال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية قال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون" فقال رجل: يا رسول الله، ففيم العمل؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله عز وجل إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة، حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة، فيدخل به الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار، حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخل به النار ". ورواه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن أبي حاتم، وابن جرير، وابن حبان في صحيحه[1].

وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصاً[2] من نور، ثم عرضهم على آدم، فقال: أي رب من هؤلاء؟

---

١ أخرجه الإمام أحمد في المسند (44/1، 45)، وأبو داود في سننه برقم (4703)، والترمذي في سننه برقم (3075) وقال: هذا حديث حسن، ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر. وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وبين عمر رجلاً مجهولاً. وأخرجه النسائي في تفسيره (504/1) وقال محققه: إسناده ضعيف. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (1612/5)، وابن حبان في صحيحه مع الإحسان برقم (6166). وقال محققو المسند: (400/1) صحيح لغيره.

٢ الوبيص البريق. انظر النهاية في غريب الحديث (146/5) "وبص".

قال: هؤلاء ذريتك؟ فرأى رجلاً منهم، فأعجبه وبيص ما بين عينيه، فقال: أي ربِّ من هذا؟ قال: هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له: داود، قال: ربِّ كم عمره؟ قال: ستون سنة، قال: أي ربِّ زده من عمري أربعين سنة. فلما انقضى عمر آدم، جاء ملك الموت، قال: أو لم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال: أو لم تعطها ابنك داود؟ قال فجحد فجحدت ذريته، ونسي آدم، فنسيت ذريته، وخطىء آدم، فخطئت ذريته". ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. ورواه الحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه[1].

وروى الإمام أحمد أيضاً عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء، أكنت مفتدياً به؟ قال: فيقول: نعم، قال: فيقول: قد أردت منك أهون من ذلك، قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا أن تشرك بي ". وأخرجاه في الصحيحين أيضاً[2].

---

١ أخرجه الترمذي في سننه برقم (3076) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وقد رُوي من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم . وأخرجه الحاكم في المستدرك (355/2) وقال: هذا حديث صحيح على شرك مسلم و لم يخرجاه. وقال الذهبي: على شرط مسلم. وأخرجه أيضاً ابن أبي عاصم في السنة برقم (205، 206) مختصراً. وأخرجه ابن حبان في صحيحه مع الإحسان برقم (6167).

٢ أخرجه الإمام أحمد في المسند (127/3)، والبخاري في صحيحه مع الفتح برقم =

وفي ذلك أحاديث أُخر أيضاً كلها دالَّةٌ على أن الله استخرج ذرية آدم من صلبه، وميز بين أهل النار وأهل الجنة[1]...

وأما الإشهاد عليهم هناك، فإنما هو في حديثين موقوفين على ابن عباس وابن عمرو رضي الله عنهم. ومن ثَمَّ قال قائلون من السلف والخلف: إن المراد بهذا الإشهاد إنما هو فطرهم على التوحيد، كما تقدم في حديث أبي هريرة رضي الله عنه[2].

ومعنى قوله "شهدنا": أي قالوا: بلى شهدنا أنك ربنا. وهذا قول ابن عباس[3] وأبي بن كعب[4]. وقال ابن عباس أيضاً : أشهد بعضهم على بعض[5]. وقيل: "شهدنا" من قول الملائكة، والوقف على قوله "بلى". وهذا قول مجاهد والضحاك والسدي[6]. وقال السدي أيضاً : هو خبر من الله

= (3334)، ومسلم في صحيحه برقم (2805).

١ قول المؤلف: "وفي ذلك... الخ" نحوه قال ابن كثير في تفسيره (265/2).

٢ قول المؤلف:وأما الإشهاد عليهم... الخ" هو كلام شيخه ابن كثير في تفسيره (265/2).

٣ أخرجه ابن جرير في جامع البيان برقم (15340) وقال محمود شاكر: بإسناد صحيح.

٤ أخرجه ابن جرير في جامع البيان برقم (15363) وقال محمود شاكر: إسناده صحيح.

٥ أخرجه ابن جرير في جامع البيان برقم (15339) ضمن أثر عن ابن عباس وفيه "وأشهدهم على أنفسهم". وقال محمود شاكر: إسناده صحيح.

٦ أخرجه ابن جرير في جامع البيان من طريق مجاهد والضحاك في حديث مرفوع برقم (15354) وشيخ الطبري (عبد الرحمن بن الوليد الجرجاني) لم أقف له على ترجمة، وكذلك قال الشيخ محمود شاكر. وقد تكلم ابن كثير على هذا الحديث في تفسيره (263/2) وقال وقفه أصح.

تعالى عن نفسه وملائكته أنهم شهدوا على إقرار بني آدم [1]. والأول أظهر، وما عداه احتمال لا دليل عليه، وإنما يشهد ظاهر الآية للأول[2].

واعلم أن من المفسرين من لم يذكر سوى القول بأن الله استخرج ذرية آدم من ظهره وأشهدهم على أنفسهم ثم أعادهم، كالثعلبي والبغوي[3] وغيرهما. ومنهم من لم يذكره، بل ذكر أنه نصب لهم الأدلة على ربوبيته

---

١ أخرجه ابن جرير في جامع البيان برقم (15373) بإسناد رجاله ثقات غير شيخ الطبري فلم أقف له على ترجمة أجزم فيها بأنه شيخ الطبري. وقد قال أحمد شاكر: وما بنا من حاجة إلى ترجمته من جهة الجرح والتعديل، فإن هذا التفسير الذي يرويه عن عمرو بن حماد معروف عند أهل العلم بالحديث، وما هو إلا رواية كتاب، لا رواية حديث بعينه. انظر جامع البيان (156/1) حاشيته.

٢ يعني بالأول قول ابن عباس: إن بني آدم قالوا: بلى شهدنا أنك ربنا. ويؤيد صحة هذا القول أن جميع الأقوال الأُخر لم تسلم أسانيدها من علة، غير قول ابن عباس الآخر: أشهد بعضهم على بعض، فهو موافق لهذا القول بحمد الله؛ لأن شهادة بعضهم على بعض تفيد أنهم هم الذين شهدوا على أنفسهم بأن الله ربهم. وقد ذكر السجاوندي في علل الوقوف (522/2، 523) وقفين ، الأول: على (شهدنا)، والثاني: على (بلى) ووصف الثاني بالبعد. قلت: قَوْلَيْ ابن عباس مع من وافقه تتركب على الوقف الأول. وبقية الأقوال تتركب على الوقف الثاني.

٣ انظر الكشف والبيان (54/4) مخطوط، صورة مكروفلم بالجامعة الإسلامية برقم (9786)، ومعالم التنزيل (211/2، 212) وممن اقتصر على هذا القول شيخ المفسرين ابن جرير، والنسائي، وابن أبي حاتم، وهود بن محكم، وأبو جعفر النحاس. انظر مؤلفات هؤلاء على الترتيب: جامع البيان (222/13-249)، وتفسير النسائي (504/1-506)، وتفسير ابن أبي حاتم (1612/5-1615)، وتفسير كتاب الله العزيز (58/2)، ومعاني القرآن الكريم (101/3، 103).

ووحدانيته وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها الله فيهم، كالزمخشري[1] وغيره.

ومنهم من ذكر القولين، كالواحدي والرازي والقرطبي [2] وغيرهم، لكن نسب الرازي القول الأول إلى أهل السنة، والثاني إلى المعتزلة [3]. ولا ريب أن الآية لا تدل على القول الأول أعني أن الأخذ كان من ظهر آدم وإنما فيها أن الأخذ من ظهور بني آدم [4]، وإنما ذكر الأخذ من ظهر آدم والإشهاد عليهم هناك في بعض الأحاديث، وفي بعضها الأخذ والقضاء بأن بعضهم إلى الجنة، وبعضهم إلى النار، كما في حديث عمر رضي الله عنه، وفي بعضها الأخذ وإراءة آدم إيّاهم من غير قضاء ولا إشهاد، كما في حديث أبي هريرة. والذي فيه الإشهاد على الصفة التي قالها أهل القول الأول موقوف على ابن عباس وابن عمرو [5]، وتكلم فيه أهل

---

١ انظر الكشاف (129/2). وانظر أيضاً أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (376/1)، ومدارك التنزيل للنسفي (85/2)، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (290/3) فإن هؤلاء لم يذكروا إلا هذا القول.

٢ انظر الوسيط (424/2-426)، والتفسير الكبير (39/15، 41)، والجامع لأحكام القرآن (314/7)، وممن ذكر القولين أيضاً السمرقندي في تفسير القرآن (579/1، 580)، وابن عطية في المحرر الوجيز (198/7، 200).

٣ انظر التفسير الكبير (39/15، 41) فقد نسب الأول للمفسرين وأهل الأثر، والثاني لأصحاب النظر وأرباب المعقولات. وهو معنى ما نسب إليه المؤلف.

٤ انظر التوفيق بين الآية والحديث في التفسير الكبير (43/15)، ولباب التأويل (310/2).

٥ أما حديث ابن عباس فقد تقدم الكلام عليه، وأنه قد ثبت مرفوعاً. وأما حديث عبد الله ابن عمرو فأخرجه ابن جرير في تفسيره برقم (15354) ورقم (15355) ورقم (15356) =

الحديث، و لم يخرجه أحد من أهل الصحيح غير الحاكم في المستدرك على الصحيحين، والحاكم معروف تساهله رحمه الله.

والذي فيه القضاء بأن بعضهم إلى الجنة وبعضهم إلى النار دليل على مسألة القدر، وذلك شواهده كثيرة، ولا نزاع فيه بين أهل السنة، وإنما يخالف فيه القدرية المبطلون المبتدعون.

وأما الأول[1]: فالنزاع فيه بين أهل السنة من السلف والخلف، ولولا ما التزمته من الاختصار لبسطت الأحاديث الواردة في ذلك، وما قيل من الكلام عليها، وما ذكر فيه من المعاني المعقولة، ودلالة ألفاظ الآية الكريمة.

قال القرطبي: وهذه الآية مشكلة، وقد تكلم العلماء في تأويلها، فنذكر ما ذكروه من ذلك، حسب ما وقفنا عليه، فقال قوم: معنى الآية أن الله أخرج من ظهر بني آدم بعضهم من بعض. قالوا: ومعنى{ أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم} دلهم بخلقه على توحيده؛ لأن كل بالغ يعلم ضرورة أن له رباً واحداً. { ألست بربكم} أي: قال: فقام ذلك مقام الإشهاد عليهم، والإقرار منهم، كما قال تعالى في السماوات والأرض: { قالتا أتينا طائعين} [2] ذهب إلى هذا القفال وأطنب. وقيل: إنه سبحانه

= الأول منها مرفوعاً، والآخران موقوفان. وتكلم ابن جرير عليه وكذلك ابن كثير بما يفيد عدم صحة رفعه. انظر جامع البيان (250/13) وتفسير القرآن العظيم (263/2).

١ يعني بالأول: أن الله استخرج ذريّة آدم من ظهره وأشهدهم على أنفسهم ثم أعادهم.

٢ سورة فصلت، الآية: 11.

أخرج الأرواح قبل خلق الأجساد، وإنه جعل فيها من المعرفة ما عَلِمَتْ به ما خاطبها[1]. ثم ذكر القرطبي بعد ذلك الأحاديث الواردة في ذلك إلى آخر كلامه[2].

وأقوى ما يشهد لصحة القول الأول حديث أنس المخرج في الصحيحين، الذي فيه: "قد أردت منك ما هو أهون من ذلك، قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئاً، فأبيت إلا أن تشرك بي"[3].

ولكن قد رُوي من طريق أُخرى: "قد سألتك أقل من ذلك وأيسر فلم تفعل، فيرد إلى النار" [4]. وليس فيه (في ظهر آدم) وليس في الرواية الأولى إخراجهم من ظهر آدم على الصفة التي ذكرها أصحاب القول الأول. بل القول الأول متضمن لأمرين عجيبين:

أحدهما: كون الناس تكلموا حينئذ، وأقروا بالإيمان، وأنه بهذا تقوم الحجة عليهم يوم القيامة.

والثاني: أن الآية دلت على ذلك، والآية لا تدل عليه لوجوه:

أحدها: أنه قال: { من بني آدم}، و لم يقل: من آدم.

الثاني: أنه قال: { من ظهورهم} و لم يقل: من ظهره، وهذا بدل

---

١ انظر الجامع لأحكام القرآن (314/7).

٢ انظر المرجع نفسه (314/7-316).

٣ تقدم تخريجه قريباً.

٤ انظر فتح الباري (403/11) فقد قال الحافظ: "في رواية ثابت (قد سألتك أقل من ذلك فلم تفعل فيؤمر به إلى النار").

بعض، أو بدل اشتمال[1]، وهو أحسن.

الثالث: أنه قال: { ذريتهم} و لم يقل: ذريته.

الرابع: أنه قال: { وأشهدهم على أنفسهم} أي جعلهم شاهدين على أنفسهم، ولابد أن يكون الشاهد ذاكراً لما شهد به، وهو إنما يذكر شهادته بعد خروجه إلى هذه الدار، كما تأتي الإشارة إلى ذلك، لا يذكر شهادة قبله.

الخامس: أنه سبحانه أخبر أن حكمة هذا الإشهاد إقامة الحجة عليهم، لئلا يقولوا يوم القيامة: { إنا كنا عن هذا غافلين} والحجة إنما قامت عليهم بالرسل والفطرة التي فُطروا عليها، كما قال تعالى: { رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل}[2].

السادس: تذكيرهم بذلك، لئلا يقولوا يوم القيامة: { إنا كنا عن هذا غافلين}، ومعلوم أنهم غافلون عن الإخراج لهم من صلب آدم كلهم، وإشهادهم جميعاً ذلك الوقت، فهذا لا يذكره أحد منهم.

السابع: قوله تعالى:{ أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم}[3] فذكر حكمتين في هذا الأخذ والإشهاد: ألا يدعوا الغفلة، أو يدعوا التقليد، فالغافل لا شعور له، والمقلد متبع في تقليده لغيره. ولا

---

١ انظر الدر المصون (511/5).

٢ سورة النساء، الآية: 165.

٣ سورة الأعراف، الآية: 173.

تترتب هاتان الحكمتان إلا على ما قامت به الحجة من الرسل والفطرة.

الثامن: قوله: { أفتهلكنا بما فعل المبطلون } [1] أي: لو عذبهم بجحودهم وشركهم لقالوا ذلك، وهو سبحانه إنما يهلكهم لمخالفة رسله وتكذيبهم، فلو أهلكهم بتقليد آبائهم في شركهم من غير إقامة الحجة عليهم بالرسل، لأهلكهم بما فعل المبطلون، أو أهلكهم مع غفلتهم عن معرفة بطلان ما كانوا عليه، وقد أخبر سبحانه [2] أنه لم يكن ليهلك القرى بظلم وأهلها غافلون، وإنما يهلكهم بعد الإعذار والإنذار بإرسال الرسل.

التاسع: أنه سبحانه أشهد كل واحد على نفسه أنه ربه وخالقه، واحتج عليه بهذا الإشهاد في غير موضع من كتابه، كقوله: { ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله } [3]، فهذه هي الحجة التي أشهدهم على أنفسهم بمضمونها، وذكرهم بها رسله، بقولهم: { أفي الله شك فاطر السماوات والأرض } [4].

العاشر: أنه جعل هذا آية، وهي الدلالة الواضحة البينة المستلزمة لمدلولها، بحيث لا يتخلف عنها المدلول، وهذا شأن آيات الرب تعالى، فإنها أدلة معينة على مطلوب معين، مستلزمة للعلم به فقال تعالى: {

---

١ سورة الأعراف، الآية: 173.

٢ في قوله تعالى: { ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون } سورة الأنعام، الآية: 131.

٣ سورة لقمان، الآية: 25.

٤ سورة إبراهيم، الآية: 10.

وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون} [1]، وإنما ذلك بالفطرة التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله، فما من مولود إلا يُولد على الفطرة، لا يولد مولود على غير هذه الفطرة، هذا أمر مفروغ منه، لا يتبدل ولا يتغير. وقد تقدمت الإشارة إلى هذا. والله أعلم.

وقد تفطن لهذا ابن عطية [2] وغيره، ولكن هابوا مخالفة ظاهر تلك الأحاديث التي فيها التصريح بأن الله أخرجهم وأشهدهم على أنفسهم ثم أعادهم. وكذلك حكى القولين الشيخ أبو منصور الماتريدي في شرح التأويلات، ورجح القول الثاني، وتكلم عليه ومال إليه[3].

---

١ سورة الأعراف، الآية 174.

٢ انظر المحرر الوجيز (198/7، 200).

٣ شرح العقيدة الطحاوية، ص (302-314) ولم أستطع الوقوف إلا على أوّل الكتاب المذكور، الذي ليس فيه سورة الأعراف. وما قاله المؤلف من تضعيف للقول الذي فسر به أهل الأثر الآية الكريمة تابع فيه هو وشيخه ابن كثير الإمام ابن القيم وتأثرا بما قال في كتابه الروح، ص (161-168) فإن ابن القيم على غير عادته رام فيه تضعيف القول الذي فسر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية، وذكر عليه هذه الاعتراضات العشرة، وتناول بعض الأحاديث بالنقد. وهذه الاعتراضات العشرة أكثرها من كلام المعتزلة، كما في نقل الرازي عنهم في التفسير الكبير (39/15-41) ومن قبله نقل أبو الليث في بحر العلوم (580/1) إلا أنه لم يصرح أن المخالف هم المعتزلة.

والحق في تفسير الآية هو ما ذهب إليه أهل الأثر؛ للأسباب التالية:

1- أن هذا التفسير قد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن طعن في رواية ابن عباس المرفوعة فقوله مرجوح، كما ذُكر ذلك عند تخريج الحديث، بل قد قال ابن عطية: "تواترت الأحاديث في تفسير هذه الآية عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق عمر =

... قوله: { إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون} [1] قال ليث عن مجاهد : "هو الرجل يهم بالذنب، فيذكر الله فيدعه"[2].

= رضي الله عنه، وعبد الله بن عباس وغيرهما" المحرر الوجيز (198/7، 199). وقال أبو جعفر النحاس في معاني القرآن (101/3): "أحسن ما قيل في هذا ما تواترت به الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم (إن الله جل وعز مسح ظهر آدم، فأخرج منه ذريته أمثال الذر، فأخذ عليهم الميثاق"). وقد أشار إلى تواتر الحديث تواتراً معنوياً العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (162/4) ولهذا هاب ابن عطية مخالفة الأحاديث، وليت الإمام ابن القيم فعل مثله، لا سيما وأنه من شيوخ أهل الأثر المتأخرين.

2- أن التفسير بما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو مذهب أهل الحديث وكبراء أهل العلم، كما نقل ذلك ابن القيم في كتاب الروح، ص (163)، بل هو قول جمهور المفسرين. انظر النكت والعيون (278/2)، والوسيط (425/2)، ولباب التأويل (310/2)، والروح، ص (163).

3- لا تعارض بين آية أخذ الميثاق وبين الحديث الثابت في تفسيرها، وما قد يظهر فيه من تعارض أجاب عنه العلماء، كما نقل ذلك ابن القيم نفسه عن ابن الأنباري وغيره في كتاب الروح، ص (163)، وكذلك أجاب الرازي عن بعض الإشكالات في التفسير الكبير (42/15، 43)، والشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (161/4-163).

4- تتابعت أقوال العلماء في الرد على من رد هذا التفسير، ومنهم أبو الليث في تفسير القرآن (580/1-582)، والرازي في التفسير الكبير (42/15-43)، والخازن في لباب التأويل (310/2)، والشوكاني في فتح القدير (276/2)، والهندي في فتح البيان (452/3-454).

١ سورة الأعراف، الآية: 201.

٢ لم أقف على هذا الأثر مسنداً من طريق ليث عن مجاهد. وأورده الواحدي في الوسيط =

والشهوة والغضب[1] مبدأ السيئات، فإذا أبصر رجع، ثم قال تعالى: {وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون} [2] أي: وإخوان الشياطين تمدهم الشياطين في الغي، ثم لا يقصرون[3].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "لا الإنس تُقصر عن السيئات، ولا الشياطين تمسك عنهم"[4].

= (438/2) عن ليث عن مجاهد. ونسبه جماعة من المفسرين إلى مجاهد بدون ذكر ليث. انظر معالم التنزيل (225/2)، وزاد المسير (310/3)، والبحر المحيط (446/4). وليث – وهو ابن أبي سُليم – الراوي عن مجاهد قال فيه الحافظ:صدوق اختلط جداً و لم يتميز حديثه فتُرك. تقريب التهذيب رقم (5685). قلت: لكن يتقوى إن شاء الله تعالى بما عند البغوي، فإنه ذكر في مقدمة تفسيره (28/1)، سنده إلى مجاهد من غير طريق "ليث" وإن كانت لا تسلم من ضعف.

١ قد جاء عن مجاهد من طرق تفسير الطائف بالغضب. انظر جامع البيان (336/13). وانظر تفسير ابن أبي حاتم (1640/5) فقد ذكره عن مجاهد وغيره أيضاً.

٢ سورة الأعراف، الآية: 202.

٣ نحو هذا التفسير أسنده ابن أبي حاتم في تفسيره (1641/5) إلى ابن عباس من طريق علي ابن أبي طلحة. والمقصود بإخوان الشياطين هم أتباعهم المستمعون لهم القابلون لأوامرهم. انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (280/2).

٤ أخرجه ابن جرير في جامع البيان برقم (15564)، وابن أبي حاتم في تفسيره أيضاً برقم (8709) كلاهما من طريق علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وهي طريق مشهورة بالصحة والقبول بين العلماء. انظر الإتقان (532/2، 533)، والتفسير والمفسرون (77/1، 78).وتفسير المؤلف في شرح العقيدة الطحاوية، ص (468، 469).